"الصورة الشعرية والبلاغية في شعر الفيتوري"

هبــه حجــاج الشـــاذلي حســانين (*)

مقدمة البحث

يعد الشاعر "مفتاح الفيتوري" من الأسماء اللامعة في الصورة الأدبية العربية المعاصرة، حيث يتميز شعره بالعمق والابتكار في التعامل مع الصور الشعرية والبلاغية، مما جعله من أبرز الشعراء الذين أسهموا في إثراء المشهد الأدبي العربي. لقد استطاع" الفيتوري" من خلال أسلوبه الخاص أن يخلق صورة شعرية تنبض بالحياة، تعكس عواطفه وأفكاره في تناغم مع البيئة الثقافية والسياسية التي عاش فيها.

تتجلى قدرة " الفيتوري" على استخدام الأساليب البلاغية المتنوعة في تكوين صور شعرية متعددة الأبعاد، تستند إلى الاستعارة، والمجاز، والتشبية، وغيرها من الأدوات البلاغية التي تساهم في تعميق المعاني وتجسيدها بطريقه غير تقليدية، تعكس هذه الصور روح الشاعر ورؤيته للعالم، وتسهم في نقل تجربته الذاتية وتصوراته بطريقه مؤثرة، قادرة على أن تحفز المتلقى على التفكير والتأمل.

إن هذا البحث يهدف إلى تحليل الصور الشعرية والبلاغية في شعر "مفتاح الفيتوري"، والتعرف على كيفية توظيفه لتلك الأساليب في بناء نصوصه الشعرية.

ستسعي إلى فهم كيفية تأثير هذه الصور في تشكيل البنية الدلالية لقصائده، واكتشاف أبعادها الجمالية والوجدانية التي جعلت من شعره مصدر إلهام للكثير من الأدباء والنقاد.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الصورة الشعرية والبلاغية في شعر الفيتوري]، وتحت إشراف: د. أحمد عبد الوارث مرسي – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. زياد محمد عبد العال جبالي – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

التمهيد

يعد شعر"مفتاح الفيتوري" واحدًا من أبرز الأصوات الشعرية في الأدب العربي المعاصر، وقد اتسمت أعماله الشعرية بالثراء والابتكار في استخدام الأدوات البلاغية والصور الشعرية التي اتفقت على قصائده طابعًا مميزًا.

يعتبر"الفيتوري"من الشعراء الذين استطاعوا أن يدمجوا بين التراث الشعرى العربي وبين قضايا العصر مما جعل شعره يتسم بالتجدد والقدرة على التغيير عن الواقع بأساليب مبتكرة وغير تقليديه.

إن الصورة الشعرية تمثل أحد ألوان التعبير الأساسية في الشعر،حيث تتيح للشاعر فرصة توظيف الخيال والرمزية لنقل المعاني والمشاعر بطرق تتجاوز حدود اللغة اليومية. أما البلاغة، فهي الفن الذي يتضمن اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة لتوصيل المعاني بشكل مؤثر وفاعل في شعر" الفيتوري"، تلتقي الصورة الشعرية والبلاغية في تناغم كامل، بحيث تعبر كل صورة عن فكرة أو شعور، وتسهم البلاغة في تعزيز قدرتها علي التأثير في المتلقي.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الصورة الشعرية والبلاغية في شعر "مفتاح الفيتوري"، من خلال تحليل الأساليب البلاغية التي استخدمها الشاعر، وكيفية تشكل الصور الشعرية في قصائده، مما يعكس تجربته الشعرية الخاصة ورؤيته الفنية من خلال هذه الدراسة إلي تقديم فهم أعمق لأسلوب" الفيتوري" الشعري، وإظهار كيف أن هذه الصور البلاغية تسهم في بناء النصوص بشكل يعكس وحدة الرؤية الفنية والتعبيرية التي تميز شعره.

الصّورة الشّعرية والبلاغيّة عند الفيتوري:

الصورة الشّعرية والبلاغيّة في شعر "محمد الفيتوري" تعد من أبرز ملامح أعماله الأدبية. تميز " الفيتوري" باستخدامه المكثف للصور الشعرية، مما أضاف عمقًا وجمالًا لأشعاره، غالبًا ما يستخدم" الفيتوري" الرمز والاستعارات للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

اولًا: تعريف الصورة الشعرية:

لقد اختلف كثير من النقاد في تحديد مفهوم الصورة وتعددت الآراء النقدية فيها، فمنهم من يربط بين مصطلح الصورة وشكلها كمفهوم "علي البطل" في قوله: الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس

في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب مالا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية.[١]

واعتمدت مجموعة من نقاد العقل كونه مهما في تعريف الصورة ومن بينهم "أحمد دهان" حيث يقول: "إن الصورة الشعرية هي تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للعقيدة عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها، والصورة في عضوية هي التجربة الشعرية ".[٢]

وتطرق "عبد القادر القط": بتعريف الصورة بشكل شامل فيقول ":هى الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارة بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ويعبر عن جانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدمًا طاقات اللغة وإمكانيتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس وغيرها من وسائل التعبير الفني..[٣]

وفيما يتعلق بالبلاغة، تُظهر " الفيتوري" مهارة فائقة في استخدام اللغة، يستخدم " الفيتوري" التكرار، الجناس، التورية، والتشبيه بشكل متقن، مما يعزز تأثير قصائده ويجعلها أكثر تأثيرًا وجمالًا. والصور الشعرية والبلاغية في شعر"الفيتوري" يمكن أن تشمل وصفه للطبيعة، أو استخدامه الرموز التاريخية والثقافية للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية. ويعكس " الفيتوري" في شعره تجربة الإنسان الإفريقي ومعاناته.

* بعض النماذج من شعر " الفيتوري" التى تتضمن الصور الشعرية والبلاغية التي تظهر قدرة على استخدام الصور الشعرية والبلاغية لإيصال مشاعره وأفكاره بعمق وجمال.

---

[١] على البطل الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس بيروت،ط١، ١٩٨٠م،ص٣٠.

[٢] حسام تحسين سليمان، الصورة في شعر ابن العيسراني عناصر التشكيل والإبداع، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠١١م، ص٦. ١٩٨١م، ص: ١٢.

[٣] عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربى المعاصر، مكتبة الشباب، القاهره، ١٩٧٨م،ص:٤٣٨.

يقول " الفيتوري" من قصيدة "أحزان أفريقيا"[٤]

، تتجلى في هذه القصيدة الصور البلاغية والتشبيهات التي تبرز معاناة القارة الإفريقية، حيث يعبر عن الفخر والاحتفال بالهوية، بينما يعكس في الوقت ذاته الألم والمعاناة المرتبطة بالتاريخ هذه الثنائية تجعل الصورة الشعرية مؤثرة وملهمة.

في قارة تُشبه السمراء
رقصتُ على جراحها،
وبكيتُ في رحابها..

وأيضًا يقول " الفيتورى" في قصيدته أنتِ أنتِ"[٥]

، يستخدم " الفيتوري" الصور البلاغية لوصف الحبيبة والجمال:

أنتِ، أنتِ مثلما كنتِ
وردةً تشدو بآفاقي
وضوءُ فجرٍ في سمائي

تتجلي هذه الأبيات مشاعر الحب والامتنان، حيث يعبر الشاعر عن تأثير الشخص في حياته كرمز للجمال والأمل.

ثانيًا: مصادر الصورة الشعرية عند الفيتوري:

تعددت مصادر الصورة الشعريّة عند ا"لفيتوري"، وكانت على النحو التالي:

١- المصادر الذّاتية:

"الفيتوري" شأنه كشأن الشّعراء، له مصادر عامة، يستقي منها صوره ودلالاتها الفنية والجمالية، وله – أيضًا- كما لغيره من الشّعراء مصادر خاصة، شكّلت رافدًا أساسيًا لصوره الشّعريّة، ولإنتاجه الشّعري برمتّه، وهذه المصادر تتعلق بذاتيّة "الفيتوري" المعنوية والجسدية، متلازمتان متلاصقتان، ورافقته منذ طفولته إلى شيخوخته، فالشاعر "الفيتوري" منذ صباه يعاني فقرًا وحرمانًا وتعثرًا ونقدًا، فما كان أمامه إلا الهروب من هذا الواقع المؤلم، الذّي يعيشه في ظل الاستبداد والظلم والتمييز العِرقِيّ بين الأسودِ والأبيض، فهو لم يكن أسودَ فقط، لكنّه ذميم الشّكل قبيح المنظر، وهذا ما جعله يعيش نفسيّةً متعبةً محطمةً، ولكنها ليست

[٤] ديوان الفيتوري، ديوان أحزان أفريقيا،١٩٧٩م،بيروت، دار العوده، ١١٧، ٢٤٧،٢١٣.

[٥] نفس المرجع، ص:٢١٣.

مستسلمة خائفة، وهذا الواقع المعنوي والحسّي الذّي يعيشه " الفيتوري"، كان له سطوة وإلحاحُ على نصوصه والصورة الشّعرية، فيقول في قصيدته المعنونة ١. بـ" إلى وجهٍ أبيض":[٦]

إنّي أخوكَ فلا تعقّ أخوَّتِي
فتزيد بركانَّيتي وقدًا..
إياكَ.. لا تبذرْ بذُورَ عداوتِي
فتَعود تحصد شوكها حصدا

المصادر الذاتية في الصورة:

" العاطفة" : تعبر الأبيات عن مشاعر الخوف والفراق أو العداوة.

"الأُلفة": تأكيد على الروابط الأسرية وأهمية الأخوة.

"التحذير": يتضمن النص تحذيرًا من معنية الفعل السلبي وتأثيراته السلبية على العلاقات.

تؤكد الأبيات على أهمية الوحدة والتسامح محذرة من عواقب العداوة التي تبرز بسبب سوء الفهم أو التوترات. وتظهر الأبيات علاقة الأخوة والتواصل الإنساني يتحدث إلي أخيه مطالبًا بعدم إلحاق الأذى بأخوته. وتعكس الأبيات مشاعر الحماية والرغبة في الحفاظ على العلاقات الطيبة.

يا خالقَ الإنسان من طينةٍ
وخالق الفنان من طينة
عذَبتني بالفن
عذّبتني بهذه النّار السّماوية

في الأبيات عدة مصادر ذاتية:

١- الوجود والخلق: الإشارة إلي" خلق الإنسان" و"خالق الفنان": تعبر عن التأمل في أصل الإنسان وعلاقته بالفن.

٢- المعاناة : عبارة "عذبتني بالفن": توحي بالتوتر والصراع الذي يعيشه الفنان، مما يعكس تجربة شخصية عميقة.

[٦] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة،ط٣، مطبوعات دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م: ص ٩١ ويقول معبرًا عن حساسيّته المفرطة بزنوجيّته، ويدعوالله ألا يشقي غيره بها كما أشقاه، فيقول في قصيدة" النّهر الظامئ"(١):

٣- الشغف: "النار السماوية": تشير إلى الشغف والإلهام، لكنها أيضَا تحمل طابع الألم والمعاناة التي قد يسببها هذا الشغف.

هذه المصادر تعكس التجربة الإنسانية المعقدة بين الابداع والمعاناة ، حيث يتداخل الخلق الفني مع صراعات النفس.

٢- الطّبيعة:

ومن مصادر الصّوره الذّاتية عند "الفيتوري" الطّبيعة، والتي تعد من مصادر "الفيتوري" الخاصة في بناء صوره الشّعرية، وقد انتقى من الطّبيعة صُوَرّهُ التي تجسّدُ رؤيته الفنيّة والفكرية، ولكن " ليس كل الأشياء المحسوسة في هذا العالم قادرة على أن تكون مواضيع لتأملات شعرية".[٧]

وهذا يعني أن الشّاعر يختار من الطّبيعة ومن الأدوات في بناء صوره الشّعرية ما يمكنه من الكشف عن رؤيته الفنية، هذا بالإضافة إلى أنه لا يُبقي تلك الأدوات على حالها، بل يُنطقها ويستنطقها بما يمكّنه من إنتاج الدّلالات، وقد تنوب عن المبدع في بعض الأحيان في التعبير عن ذاته وأفكاره، فالطبيعة هي المجال الخصب الذّي يجد المبدع فيه مقوّمات إبداعه وتجلّياتها، وقد تجلّى ذلك في أشعار "الفيتوري".ومن ذلك قوله:[٨]

في ضوء الفجر
يتدفّقَ شيءُ كالشّلال
تدفّقَ من أعناقِ رجال
صنعّت أيديهم الاستقلال
صنعتهُ من أجل الأجيال
أوه... يا ثمن الحريه
أو لازال علينا كي نعبر درب الهم
أن نغسل أو جهنا بالدمّ
دم خمس شموس بشريه
أوه... يا ثمن الحريه

[٧] غاستون باشلار، شاعرية أحلام اليقظة(علم شاعريّة التأملات)، ترجمة: جورج سعد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م: ص ١٣٣-١٣٤.

[٨] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة:٣٦٩.

في هذه الأبيات تتجلى صور الطبيعة،" ضوء الفجر": يرمز إلي الأمل والبداية الجديدة، ويعكس تجدد الحياة."الزلازل": تعبر عن القوة والحركة، مما يشير إلي تحدث في المجتمع. " التدفق": يظهر حيوية النشاط البشري، حيث يرمز بناء الجهود المستمرة من أجل الاستقلال. "الأعناق": تمثل الرجال الذين بذلوا الجهد في وضع الاستقلال، مما يبرز تضحياتهم. "الأجيال": تدل على استمرار القيم والمبادئ عبر الزمن، مما يعكس العلاقة بين الماضي والمستقبل وتتداخل هذه الصورة لتشكل مشهدًا يعكس عمق التجربة الإنسانية في سعيها نحو الحرية والتغيير.

٣-الأسطورة :

من بين الصعوبات التي يواجهها القارئ وهو ينقب عن الأسطورة في شعر الفيتوري طبيعة الأسطورة ذاتها. صحيح " ليفي ستراوس" ينظر إلي الأسطورة كقراءة للعالم بأسره. ولذلك اشترط النظرإليها بحذر شديد، لأن المختصصين لهم رؤية متفاوتة حول طبيعة ووظيفة الأسطورة.[٩]

إن للأسطورة طابعها المميز عن الشعر والخرافة والحكاية. لكونها تستقل بمضمونها وليس بأسلوبها أو طريقة سردها على حد تعبير " ليفي ستراوس" فالحكاية جزء لا يتجزأ من مضامين الأسطورة.[١٠]

ومن ثم تتعدد وظائفها الدلالية بتعدد السياق الشعري، وليس من السهل العثور على أسطورة تنفرد بوظيفة محددة وثابتة من التراث. ونستدل علي هذا الثراء الدلالي من شعر محمد الفيتوري لنرى كيف أعاد صياغة أسطورة "ألف ليلة وليلة" في قالب جديد يتماشي مع رؤيته الجديدة للواقع فيقول:

يهبط الرخ الإلهي على الشوارع الحزينة
ويعقّم الرجال في أروقة المدينة
يدخل كل رجل حذاءه العتيق
أو صندوقه الأجوف
أو فروته المبقعة

[٩] كلود ليفي ستراوس: أنثروبولوجيا- أغورا- بلون- باريس: ١٩٧٩م، ص: ٢٣٢.
[١٠] نفس المرجع، نفس الصفحه.

أو يستحيل ضفدعة
تقلب العيون في انبهار
عبر فراغ الليل والنهار.[١١]

والرخ طائرالنسر الخرافي ورد ذكره في أسطورة سندبات، وهي أسطورة كما نعلم عربية شرقية توسل بها الشاعر " محمد الفيتوري" لاستجابة مضمونها مع سياق مماثل للواقع المعيشي للشاعر، فيتصور عودة هذا الطائر الخرافي المقدس من جديد إلى الحياة ليجري مسخًا على الرجال الذين فقدوا رجولتهم وبطولاتهم، واستحالوا إلى هياكل جوفاء فارغة حقيرة هامشية لا تعبر اهتمامًا للزمن ولا للتاريخ، ويقف مذهولًا أمام تقدم الآخر وتطوره، فوظيفة الأسطورة هنا تتحدد في رسم صورة واقعية للإنسان العربي بطريقة خرافية فنية خالية من التقريرية والمباشرة. وتتمثل أسطورة الرخ أساسًا محوريًا في تشكيل رؤية الشاعر للواقع الذي تتداخل فيه الأبعاد الإنسانية والواقعية، واعتبارها قاسمًا مشتركًا بين الإنسان البدائي والإنسان المعاصر.

ويبدو أن دلالة الاستحضار تعبر عن حالة من التردي والضعف والانهزام مفروضة على المدينة التي تسقط أمام واقع الرخ المهيمن والمفزع، فهو الذي يحيل الموجودات إلى أقزام تدخل مخابئها، أما الرجال فليس لهم حتى حق المسير فهم قابعون في صناديقهم وفرواتهم، أو هم كائنات مهزومة كالضفادع ليس لها إلا الأنين، وهذه الحالات التي تصير إليها الموجودات ماهي إلا تعبير عن واقع الأمة المحتضر وسط حالة من الانكسار المميت لرموزها.ويستمد " الفيتوري" هذه الأبعاد الأسطورية لإسقاطها على الواقع باعتبارها الحقيقة نفسها، لأنها ترتبط بالمعرفة الأولى التي اكتسبها الإنسان عن نفسه وعن محيطه، على حد تعبير "جورج كوزدوف". بل أكثر من ذلك إنها بنية هذه المعرفة فلإنسان البدائي تصوران عن العالم ووحدة الطبيعة. أحدهما" موضوعي" حقيقي والآخر " أسطوري" كقراءة واحدة للطبيعة[١٢]

---

[١١] محمد الفيتوري، الديوان المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م، ص: ١٢١.
[١٢] ديوان محمد الفيتوري، المجلد الثاني، بيروت، دار العودة،١٩٧٩م،ص:،١٢١،١٢٢.
*جورج غوسدورف:الأسطورة، مقدمة للفلسفة: ص: ٥٧.

وعادة ماتستمد الأسطورة صورها ورموزها من الذاكرة والأحلام، وتعكس محيطًا اجتماعيًا ودينيًا، بلغة خاصة مميزة، فتوصل رسالة شاملة عن أصل ومصير الإنسان وما يتهدده من مخاوف القحط والمجاعة والهلاك.كما يتضح في شعر "الفيتوري" فيقول":[١٣]

يا حبيبتي التي تسكني
أنا الذي يسكن في مدائن الرحيل
في قوافل الهجرة
في سواحل الغياب
أركل باب خيمتي
وأمتطي ظهر جوادي
رافعًا راية حزني وانفرادي
موغلا في طرقات المدن القديمة

في هذا المقطع يفصح فيه الشاعر عن حنيته وشوقه للعودة إلي الماضي مما يعكس اعتزازه بالموروث القديم وطبيعة العيش البسيطة في الصحراء وما توحيه من امتداد في الفكر وسعة النظر والتأمل في الكون.

٤-التراث الدّيني:

ومن مصادر الصّورة عند "الفيتوري" التراث الدّيني، والذي يُعَدّ مصدرًا خاصًا من مصادر الصّورة عند "الفيتوري" وذلك لخصوصية واقعه الممزوج بالقهر والظلم والاحتقار والدّونية والنبذ، فلم يكن أمامه إلا طرْق هذا الخزّان الدّيني، لتشكيل صوره وتراثه الفني الجميل؛ لأنها تمثّل ملاذًا روحيًا للإنسان، وبشكل أعمق للإنسان المضطهد " كالفيتوري"، " فالمعطيات الدّينية تُشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما قدّمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوّعة".[١٤]

[١٣] محمد الفيتوري، المجلد الثاني،١٩٧٩م، ص:٢٤٢.

[١٤] عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفيّة،ط١، دار الأندلس والكندي للطباعة والنشر، الأردن، ١٩٧٨م: ص ٧٨.

لذا نجد أن شعر " الفيتوري" قد استدعى شخصيات دينية مثل: الرّسول- ﷺ- الذّي يخاطبه في أكثر من قصيدة، ينقل إليه واقع الأمة الكسير، ومن ذلك قوله في قصيدة" يوميات حاج إلى بيت الله الحرام":[١٥]

يا سيّدي
تعلّمُ أنْ كان لنا مجدُ وضيّعناه
بنيتَهُ أنْت وهدَّمناه
اليوم ها نحن !
أجل سيدي- نرفل في سقطتنا العظيمه
كأننا شواهُد قديمهْ
تعيشُ عمرهَا لكى
تُؤرخُ الهَزيمه!.

٥- التراث التاريخي:

ومن مصادر الصّورة عند"الفيتوري" التراث التاريخي، ويُعتبر مصدرًا من مصادر الصّورة الشّعرية، ووَسيلةً للبناء الشّعري، الذّي لا يمكن أن يظلّ منغلقًا بل لابد من الانفتاح على معطيات كثِيرة، يقتضيها النّصّ ورؤية المبدع، ومن هذه المعطيات التاريخ الذّي لا يمكن اعتباره زمنًا جامدًا، بل حالة متحرّكة وحيوية لا تتقطع عن الحاضر، ولا ينفكّ الحاضر منها؛ "لأن التاريخ ليس وصفًا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصرة لها، بل إنه إدراك إنساني معاصر أو حديث له، فليس هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي"؟[١٦]

ومن الرّموز التاريخية عند "الفيتوري" التّتار" حيث يقول:[١٧]

والتصقَ الصراخُ في فمي
.. والجناةُ التتريّون الضّحايا
الأسلِحة

[١٥] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة:ص ٤٩٢.
[١٦] مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٩٨م: ص ٢٠٥-٢٠٦.
[١٧] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة:ص ٦٧.

وتشير الأبيات إلى المعتدى من التتار ويعكس التوترات التاريخية والألم المرتبطة بالصراعات وفي هذه الأبيات تتجلى صور التراث التاريخي من خلال كلمة "الصراخ" يعبرعن الألم والمعاناة الناتجة من الصراعات التاريخية، مما يعكس القوة مع النضال تعبر عن الصور والتاريخ الجماعي للألم.

ثالثًا:أنماط الصّورة البلاغيّة عند الفيتوري:

وهنا يقصد بأنماط الصورة البلاغيّة الصّورة البيانية: التشبيه، الاستعارة، المجاز، الكناية، وهي قديمة لحضورها في الشعر العربي القديم، وقدامتها لا تعني- بأي حال من الأحوال – استغناء الشّعراء في العصر الحديث عنها؛ فهي ما زالت تشغل حيّزًا واسعًا من إبداعاتهم الفنية؛ نظرًا لإمكانياتها في إنتاج الدّلالات، وكشف رؤى الشّعراء الفنية والفكرية بطرق مختلفة؛ كما يقول "السّكاكي ":في مفتاحه : "معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدَّلالة عليه، وبالنقصان ليتحرز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتّمام المراد منه".[١٨]

فالصّور البيانية في النّص الشّعري، تنهض بمهمة التجويد اللّفظي والمعنوي، واستغراق الرّؤى الغائرة في لا وعي المبدع، ولا وعي مجتمعه الذّي يعيش فيه، فهي ليست بهدف التنميق والتجميل الشّكلي للنصوص فقط، إنما يقع على عاتقها-أيضًا- إنتاج الدّلالة وتدعيمها، أو كما يقول "الحاجظ": "هي الدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفي".[١٩]

والمبدع عندما يشكّل صوره البيانية ويتأنق في صناعتها، لا ينصبُّ تفكيره عليها دون غيرها من مقومات النّص الفنية الأخرى، بل يحرص على التّلاحم الفاعل بينهما، وتلك المقومات لإنتاج الدّلالة، فهو يحرص على أن تتساوى تلك المقومات بالصور في المستوى الجمالي والفني؛ لأن فقدان هذا التوازن، يحدث خللًا كبيرًا في جسد النّص الشّعري، وفي قدرته على إيصال رؤية المبدع الفنية والفكرية إلى المتلقين، ومن المقومات الفنية التي تساعد الصّور معها (الموسيقي)،

[١٨] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكرالسّكاكي، والشهرة(أبو يعقوب السكاكي)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م: ص ١٦٢.

[١٩] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م:ص ٨٢.

فالموسيقي أعطاه الصّوربفاعلية، والصور ترفد الموسيقي بإيقاعات تنتج دلالات النّص.

من انماط الصّورة البلاغيّة عند الفيتوري.

(١) التشبيه عند الفيتوري:

مفهوم التشبيه:

والتشبيه كما وّرِد في لسَان العرب: الشَّبَه والشِّبْهُ والشَّبِيه: المِثْل، والجمع أشباه، وأشْبَهَ الشّيءَ ماثَلَهُ، وفي المثل " من أشبه أباه فما ظلم"، وأشبه الرّجُل أمّه: وذلك إذا عجز أو ضعف، وأشبهت فلانًا وشابهته، واشتبه علىّ، وتشابه الشّيئان واشتبها: أشبَهَ كل واحد منهما صاحبه، وشبهه إياه وشبهه به مثله، والمتشابهات: المتماثلات، وتشبّه فلان بكذا، والتشبيه التمثيل"[٢٠]

وهذا يعني أن التشبيه في اللّغة هو التمثيل.

التشبيه وأنواعه في دواوين الشاعر محمد الفيتوري:

أولًا: باعتبار المحسوس والمعقول:

أ. تشبيه المحسوس بالمحسوس:

وفيه يكون المشبَه به حسيين، لاشتراكهما في المحسوسات، أي في الحواس، كالسمع والبصر والذوق والشم واللمس.[٢١]

شواهد من شعر الفيتوري:

وعَينان فيه كأرجوحتَين
مثقلتَيْن بريحِ الألَم[٢٢]

طرفا هذه الصّورة التشبيهيه هما:

عينان	مشبّه به حسي.
أرجوحتان	مشبّه به حسي.
أداة الشّبه	الكاف.

[٢٠] ابن منظور، لسان العرب: ٥٠٣/١٣.

[٢١] ينظر: شهاب الدين النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (من بلاغة النظم القرآني)، ط١ دار الكتب والوثائق القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٩.

[٢٢] محمد الفيتوري / الأعمال الكاملة: ص ١٧.

والصفة الجامعة بينمها في "مثقلين" وهي نقطة الالتقاء، وهي اسم مفعول يدل على حجم الألم الكبير الذّي هاتين العينين.

وهذه الصّورة تكشف عمق الألم الذّي يعانيه "الفيتورى".وشعريّة هذه الصّورة تأتي من ناحيتي (الثقل والتأرجح)، فهما مستمران استمرارية تفيد ديمومة الحزن مادام الثّقل والأرجوحة مجتمعين،[٢٣]

ب.تشبيه المحسوس بالمعقول:

وهو" التشبيه الذّي يكون فيه المشبّه ماديَا محسوسًا والمشبّه به عقليًا معنويًا، وهو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى مالا تقع عليه الحاسة"[٢٤]

.ومن شواهده قوله:[٢٥]

نيويورْك ياغابةَ الموت.. ملعونَةُ كيفَ كنْتِ
فهذا الذّي لطخَتْهُ يداكِ، جبينكِ أنتِ.

في هذين السّطرين الشّعريين صورة تشبيهية أطرافها:

نيويورك	مشبّه حسي.
غابة الموت	مشبّه به معنوي.
أداة الشّبه	محذوفة.

والصفة الجامعة بينهما-أيضًا- محذوفة نقدرها بالفوضى والظلم، واستغلال القوة في قهر الشّعوب المظلومة، وجمالّية هذه الصّورة تنبع من التصاق هذه الصّورة القبيحة بمدينة نيويورك، - أيًا كانت وكيف- ؛ فهي ملعونة ويدها ملطّخة، وكذلك جبينها.

ج. تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو التشبيه الذّي يكون فيه المشبّه عقليًا معنويًا، والمشبّه به ماديًا محسوسًا. ومن ذلك قوله:[٢٦]

زمني قاسٍ..
زمني جلادُ لا يرحمْ

---

[٢٣] محمد الفيتوري / الأعمال الكاملة: ص٩٣..

[٢٤] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ط٢، مكتبة لبنان وناشرون للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٧م: ص ٢٠٦.

[٢٥] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة:ص ٢٧٠.

[٢٦] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة، ص ٢١٤.

زمني وجهُ يتفجرُمن شفتيهِ الدَّم

في هذه الأسطر الشّعرية يرسم" الفيتوري "ثلاثُ صور تشبيهية لزمنه، وذلك على النّحو الآتي:

١. زمني مشبّه معقول
قاسٍ مشبّه به محسوس
٢. زمني مشبّه معقول
جلاد مشبّه به محسوس
٣.زمني مشبّه معقول
وجه مشبّه به محسوس

والصورة التي تجمع طرفي التشبيهين الأول والثاني هي الظّلم والاستبداد، ولكن الصّورة الجامعة في الثّالث هي الثّورة والانفجار، وكل ذلك تمّ في غياب أداة الشّبه، وشعرية هذا التشبيه تأتي من خلال هذا التدرج: القسوة، عدم الرّحمة، الانفجار للدم من الشّفتين، ومن عمق المعاناة وقدرة العزيمة التي عليها "الفيتوري".

ثانيًا: التشبيه باعتبار الإفراد والتراكيب:

أ- تشبيه المفرد بالمفرد:

والمقصود بالإفراد هنا بالمعني البلاغي؛ أي غير المركب، وليس المقصود به المعنى النّحوي.[٢٧]

ومنه قوله في قصيدته المعنوية بـــ " الله ياشيخي أنا".[٢٨]

الله ياشيخي أنا
عيناي سحابتان.. نجمتان من رخام
ضائعان يركضان
عبر ردهات الرّيح والظلام
قيدان في وجهي.

يعقد الشّاعر في هذه الأسطر مشابهة من أطرافها:

[٢٧] يُنظر : شيخ بكرى أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد" علم البيان"، ط١، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، ١٩٩٥م: ص ٢٢.
[٢٨] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص٥٧٥.

عيناي سحابتان
عيناي نجمتان من رخام
عيناي طفلان يركضان
عينايَ قيدان

وأداة الشّبه محذوفة وكذلك وجه الشبة الذّي نقدره بالتحول السّلبي، فهما سحابتان ثم نجمتان؛ ولكن من رخام (أي لا حياة فيهما)، ثم طفلان يركضان، ثمّ قيدان مكبّلان. وشعرية الصّورة تنبع من الإيحاء بمشاهد الواقع الذّي يعيشة "الفيتوري" ويراه، فهو واقع لا يسير على نمطية إيجابيّة، بل بأنماط متعددة تنتهي إلى القيد والذل.وتأتي جماليتها كذلك، من الإيقاعات النّاتجة عن صيغة المثنى الطّاغية في هذه الأسطر الشّعرية.

ب- تشبيه المركّب بالمركّب:

المركّب هو " الصّورة الذّهنية المكونة من عدد من العناصر، مُزج بعضها ببعض حتى صارت شيئًا واحدًا"[٢٩]

.ومنه قوله من قصيدته" البعث الإفريقي"[٣٠]

:وهنا الشاعريشير إلى العوز يعني الحاجة والحرمان، مما يعكس حالة نفسية مؤلمة، ويشير إلى الفقدان الأمل في المستقبل، مما يعكس اليأس. هذا النوع من التشبيه المركب يبرز الفراغ الداخلي، وينكس الواقع " للفيتوري" في التعبير القضايا الأنسانية.

جوعانةُ تمضغُ أيّامها
كحارسِ المقبرة المُقَعدِ
عريانةُ المَاضِي..
بلا عزَّةٍ تتوّج الآتي
ولا سؤدَدِ!.

إنّ ترسيمه الصّورة التشبيهيه المركّبة في هذه الأسطر الشّعرية كالآتي: تشبيه أفريقيا الجوعانة التي تمضغ الزّمن والمجرد من العزّ كهيئة حارس المقبرة المقعد والصورة الجامعة بينهما هو الضّعف المفرط والاندثار. وفنّية هذه الصّورة

[٢٩] محمد علوان، دراسات في البلاغة العربية من بلاغة القرآن ص١٥٩.
[٣٠] محمد الفيتوري، الاعمال الكاملة : ص ٦١.

تتبع من خلال اختزال الكل " أفريقيا" بالجزء "حارس المقبرة المعتمة المقعد"، وهي بذلك توحي بأن الاندثار والضعف قد طال كل أفريقيا، وتمّ اختزاله في أضعف حال يمثله حارث المقبرة القعيد.

ثالثًا: التشبيه باعتبار الأداة:

أ- التشبيه المرسل:

وهو "التشبيه الذّي ذكرت فيه الأداة، وسمّي مرسلًا؛ لأنه مقول بطريقة عفوية ومرسل على السّجيّة".[٣١]

ومنه قوله في قصيدة " مات غدًا".[٣٢]

واستيقظ الشّعبُ
كإعصارٍ نَتِن!
مرَّ على حقولِ الورد ساعةَ السَّحر

ويظهر التشبيه المرسل بالرسيمة الآتية:

يقظة الشّعب	مشبّه.
الإعصار	مشبّه به.
أداة الشّبه	الكاف.

ووجه الشّبه الرّائحة النّتنة "لا جدوى ولا فائدة منها". وفنيّة هذه الصّورة تأتي من الإيحاء بالعجز، وفقدان الأَمَل الذّي أوهمنا بتحققه عبر كلمة " الإعصار"، ولكن صفة" نتن" قطعت الأمل وبدّدته.

ب-التشبيه المؤكد:

وهوما حذفت منه أداة التشبية، ويقصد به: "أنه لا شكّ في المشابهة بين الطّرفين حتى تغدو هذه المشابهة أمرًا مفرغًا منه.[٣٣]

ومن ذلك قول "الفيتوري" في قصيدته "إلى الأخطل الصّغير":[٣٤]

يا أميرَ الشّعرِ

---

[٣١] أحمد أبو حاقة، البلاغة والتحيل الأدبي ط١، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م:ص ١٢٥.

[٣٢] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص١٠٢.

[٣٣] أحمد أبو حاقة، البلاغة والتحيل الأدبي ط١، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م:ص٢٥.

[٣٤] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص٦١٩.

والشعْرُ رؤيً نبوءاتٍ عليهنَّ لثامُ
واقفٌ منكَ أنَا فِي حضرةٍ

ترسيمة التشبية المؤكد المفصّل في هذه الأسطر كالآتي:

الشّعر مشبّه
رؤى نبوءاتٍ مشبّه به.
أداة الشّبه محذوفة

ووجهُ الشّبه" عليهنّ لثام" أي القمع وهو الإلمام او الستر وعدم المجاهرة والخضوع لسطوة الدّين والمجتمع. وفنية الصّورة مستمدة من الإيحاء بالملاصقة الدائمة لقمع الشاعر، كملاصقة اللّثام لوجوه النبويات، وفي ذات الوقت هناك إيحاء خفي بجمال خفي للشعر ووجوه النبوءات.

رابعًا: التشبيه باعتبار وجه الشّبه من جهة الذّكْر والحذف:

أ- التشبيه المفصّل:

وهو" ما ذكر فيه وجه الشّبه، كقولنا: زيدُ كالأسد شجاعةً[٣٥]

.ومن شواهده في شعر "الفيتوري" قوله في قصيدته" الطوفان الأسود ":[٣٦]

وآخَر أسْود بادِي العبُوس
طويلُ، رفيعٍ، كصَاري سفينَه

وهنا يقصد الشاعر " آخر" قد يكون إشارة إلى شخص أوحاله آخري أو مرحله في السياق، هو يشير إلى " الأخر" الذى يختلف عن " الذات" أو الحالة التي ذكرها في الأبيات. " أسود" اللون الأسود هنا يمكن أن يرمز إلى الحزن، الظلام أو الكآبة. "بادي العبوس" هو التعبير عن الحزن أو الاستياء، فالشخص الذى" بادي العبوس" هو شخص يظهر على وجهة علامات الغضب أو الحزن، يدل على مشاعر التوتر أو الاستياء." طويل رفيع كصاري سفينة" هذه الصفات تعزز صورته الشخصية أو الشيء الذى يتم وصفة بأنه نحيف وطويل. هذه الصفات تبرز الانفراد أو الاستطالة، وقد تعكس خاله من الوحدة أو الغربة، حيث يبدو لكائن المعني كأنه شيء غير طبيعي أو غير متوارنًا.

وترسيمة هذا التشبيه المفصّل كالآتي:

---

[٣٥] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص ١٧١.
[٣٦] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص ٩٦.

آخر (الصنم) مشبه.
صاري سفينة مشبه به.
أداة الشّبه الكاف.

ووجه الشّبه السّواد والطول والنّحافة والعبوس. وجمالّية هذه الصّورة مستمدة من تعدد أوصاف المشبّه واختزالها في " صاري" السّفينة المشبّه به، وبالتالي الإيحاء بعدم جدوى الحديث والسؤال مع الصّنم؛ لأنه لا ينفع ولا يضر.

وقوله من قصيدته" مات غدًا":[٣٧]

وذاتَ يومٍ مظلمٍ رطبٍ..
كسردابٍ طويل..
صحَا يهزُّ راحتيهَ في تشنجٍ ذَليل

والمعني الإجمالي. هنا الشاعر عن حالة من الألم والضياع، ويسلط الضوء على مشاعر الضعف والعجز التي يشعر بها الشاعر. "وذات يوم رطب" تضيف عنصرًا من الكآبة أو الحزن الملموس وكأن الجو يعكس شعورًا من الهم والغم. فالرطوبة قد تعطي شعورًا بالاختناق. "مظلم" تشير إلي الحزن أو الشدة، فقد يكون" المظلم" رمزًا للحياة النفسية القائمة أو الموقف صعب يمر به الشاعر. "كسرداب طويل"، " سرداب" هو ممر مظلم طويل، قد يرمز إلي الشعور بالضياع أو التوهان، و"السرداب" في هذا السياق يمكن أن يعبر عن رحلة داخلية طويلة مليئة بالعذاب أو الشعور بالوحدة، حيث لا مخرج منها. حيث" صحا يهز راحتية في تشنج ذليل" تعنى الاستفاقة من حالة غفوة أو نوم طويل." يهز راحتية" تشير إلي حركة غير طبيعية أو مرهفة، يمكن أن تكون نتيجة لحالة من الارتباك." في تشنج ذليل" يرمز إلي الألم أو التوتر النفسي، بينما " الذليل" تشير إلي الانكسار أو الفقدان للكرامة. وهنا يوصف الشاعر الصور الحسية" الظلام، الرطوبة، التشنج" لتوضيح حجم الألم الداخلي الذي يعيشة. ويظهر كيف أن الشعور بالذل والعجز يمكن أن يهيمن علي الشخص في مثل هذه الظروف.

[٣٧] محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة: ص١٠٨.

خاتمة البحث

في ختام هذا البحث الذي تناول الصورة الشعرية والبلاغية في شعر " مفتاح الفيتوري" يمكننا أن نستنتج أن الشاعر قد نجح في استخدام الأساليب البلاغية والصور الشعرية بشكل مبتكر وفعال، مما جعل من شعره لوحة فنية تنبض بالحياة. لقد استطاع" الفيتوري" أن يخلق عالمًا شعريًا يعكس من خلاله مشاعره وأفكاره بطرق فنية تتسم بالغموض أحيانًا والوضوح أحيانًا آخري مما جعل قارئه يستمتع بالتأمل في معانيه ويدفعه للتفاؤل معها بشكل عميق.

لقد تميز" الفيتوري" باستخدامه المتميز للأدوات البلاغية مثل الاستعارة والتشبيه والمجاز، إلى جانب الصور الشعرية التي كانت بمثابة حيز يربط بين الواقع والخيال، ويسهم في إيصال رسائله بشكل مؤثر هذه الصور لم تقتصر على الجانب الجمالي فحسب، بل ساعدت أيضًا في إبراز الموضوعات التي شغلت الشاعر من قضايا اجتماعية وسياسية وإنسانية، مما منح شعره طابعًا تحليليًا ونقديًا.

وفي النهاية، يعد " الفيتوري" بمثابة مرآة تعكس الواقع العربي المعاصر، ويستحق المزيد من الدراسات في البحث العميق في فهم هذه الصور البلاغية والشعرية بمهارة وعناية، ويعكس فنه العالي وقدرته على تحويل الكلمة إلى صورة حية، مما يجعله أحد أبرز شعراء العصر الحديث الذين أثروا الشعر العربي بعمق وثراء.

المصادر والمراجع

(١) أحمد أبو حاقة، البلاغة والتحيل الأدبي ط١، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.
(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ط٢، مكتبة لبنان وناشرون للطباعة والنشر بيروت.
(٣) حسام تحسين سليمان، الصورة في شعر ابن العيسراني عناصر التشكيل والإبداع، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠١١م.
(٤) ديوان الفيتوري، ديوان أحزان أفريقيا،١٩٧٩م،بيروت، دار العوده
(٥) عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربى المعاصر، مكتبة الشباب، القاهره، ١٩٧٨م.
(٦) على البطل الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس بيروت،ط١، ١٩٨٠م.
(٧) أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.
(٨) عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفيّة،ط١، دار الأندلس والكندي للطباعة والنشر، الأردن، ١٩٧٨م.
(٩) غاستون باشلار، شاعرية أحلام اليقظة(علم شاعريّة التأملات)، ترجمة: جورج سعد، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.
(١٠) كلود ليفي ستراوس: أنثروبولوجيا- أغورا- بلون- باريس: ١٩٧٩م.
(١١) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكرالسّكاكي، والشهرة(أبو يعقوب السكاكي)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
(١٢) يُنظر : شيخ بكرى أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد" علم البيان"، ط١، دار العلم للملايين للنشر، بيروت، ١٩٩٥م.
(١٣) محمد علوان، دراسات في البلاغة العربية من بلاغة القرآن.
(١٤) محمد الفيتوري، الأعمال الكاملة،ط٣، مطبوعات دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.